

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشؤل
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك هو سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة

دار الرسالة بشارع المبدولى رقم ٣٤
مايدين - القاهرة
تليفون ٤٣٣٩٠

المرآة

مجلة أسبوعية للفن والفكر والتأنيخ

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الثالثة

٢٠ شوال سنة ١٣٥٨ - أول ديسمبر سنة ١٩٣٩

العدد ٦٩

من أحسن القصص



فهرس العدد

سـفـحـة			
١٠٩٨	لقد كنت أبا مستبدأ ...	من الإنجليزية ...	بقلم الأستاذ عبد الحميد حدى ...
١١٠٩	الكرتيرة المؤقتة ...	من الإنجليزية ...	بقلم الأستاذ د.ع. ١٠٩ ...
١١١٣	إتخاذ السلم ...	للكاتب الفرنسى أوكتاف فوييه ...	بقلم الأديب محمد عبد القناح محمد ...
١١١٥	تولية مرمار ...	للكاتب جورج مسيرديث ...	بقلم الأديب شفيق ذهني ...
١١١٨	المش الحلال ...	من الإنجليزية ...	بقلم الأستاذ محمد الطيف النشار ...
١١٢٢	نبيل الحب ...	أنقصمة شرقية ...	بقلم الأستاذ مراد الكرداني ...
١١٢٥	ليلة الذكرى ...	أنقصمة مصرية ...	بقلم الأديب محمد محمود البني ...
١١٣٠	زوجة فرام ...	للكاتب الفرنسى أندرسن ...	بقلم الأديب كمال الحصري ...
١١٣٢	سر المعلم كورنى ...	للكاتب الفرنسى ألفونس دوديه ...	بقلم الأديب عبد القنى المطرى ...

لقد كنت أباً مستبداً

عن الإنجليزية

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

من حقوق . فنتم بالحب والمطف
من الرجل الذي اصطفتها نفسها ...
الرجل الذي لملاقته بها معنى لا يمكن
أن يكون لملاقة أيها بها على
الإطلاق .

لقد كنت رجلاً صلب الإرادة
كنت نفسي بنفسى وكنت أعيش

في « دريشير » على مقربة من بلدة اسمها « دايك »
وكان أبي مزارعاً ولكنني لم أحب قط الكدح
المستمر في حياة الزراعة ، ولم أكن لأحتمل أن أرى
التغير المفاجئ في الجو من صقيع قارس إلى شمس
محروقة أو مطر غزير يتلف عمل السنة كلها

ذهبت إلى « دايك » في السنة التي تركت فيها
المدرسة وحصلت على عمل كتابي عند تاجر من تجار
الفلل والحبوب . فلم تمض خمس سنوات حتى
امتلكت ذلك المتجر ، وأصبحت قياساً على مستوى
الحياة في « دايك » رجلاً غنياً ، وكنت رجلاً
متكبراً شديد الإرادة ، تعودت أن أسلك الطريق
التي تروني وأن أذهب إلى أبعد المدى للحصول
على ما أرغب في الحصول عليه

وكانت شديد الغرور بنفسى حتى حسبتني قد
عملت عملاً مدهشاً عند ما تزوجت من فتاة من
إحدى المزارع المجاورة ولم أتزوج من إحدى فتيات
البلدة التي أعيش فيها ، ولقد كانت « وني نورفل »
فتاة حلوة محبوبة ، لها عينا زرقاوان لطيفتان
وشعر ذهبي جم . وكانت ودية رقيقة حتى لقد
رضخت لي في كل شيء . وليس من شك في أن ذلك
لم يكن بالأمر الصالح لي فقد زادني استبداداً وتحكما
وبعد زواجنا بأربعة أعوام رزقنا بابنتنا الصغيرة

« أكانت تصرفه نتيجة حبه ابنته
أم نتيجة غيرة من الرجل الذي أحبه ؟ »

الغيرة لئمة هائلة . وسل عن هذه الحقيقة
أى إنسان ابتلى بما يبعث إلى النفس غول الغيرة
« الأخضر العين » من الفصص والشكوك والمذاب ،
والغيرة على الشخص الذي تحبه رجلاً كان أو امرأة
شيء غير مستحسن إلى حد ما . ولكن الشيء
المقطوع بأنه لا مبرر له على الإطلاق هو الغيرة
على ابن الإنسان من لحمه ودمه

وأنا عالم بهذه الحقيقة لأنني كنت أباً يمار على
ابنته ، لقد كنت أحبها حباً جنونياً ، ولم أكن
لأحتمل أن أرى رجلاً آخر ينظر إليها نظرة تم
عن الحب والرغبة ، بل حتى قبل هذا كنت أكره
أن تبعد عني لتلهو بلمعها . وكان الألم يحز في قلبي
إذا رأيتها وهي طفلة تسرب إلى ساعدي أحد
الجيران الذين يحبونها وقد فتحهما مرحباً بها

ألا برى القارىء أن هذا شيء كرهه وغير
طبيعي ؟ ولو كنت خيراً مما كنت بالفعل لحاربت
هذا النقص في نفسي وتغلبت عليه . فالأب الذي
يحب ابنته حباً صادقاً يحب أكثر من كل شيء
آخر أن تتمتع ابنته بكل ما حولها طبيعة المرأة

بدلاً مما كنت أبدي من جفاف، إذ كنت أظهر، وإن لم أصرح، عدم ارتياحي إلى هذه الاجتماعات. على أنني كنت دائماً ألبى جميع طلبات ميرا، فلم يكن هناك ما يبرر حرمانها أن تتمتع بصحبة رفاقها من الشبان، وما أشك في أنها لم تسيء قط الظن في شعوري حيال سلوكها

ووقعت «ميرا» آخر الأمر في شرك الحب — وكان حباً جدياً عميقاً — وكان حبيبها ابن أحد المزارعين واسمه كريستوفر هاريسون، وقد عرف أحدهما الآخر منذ أيام المدرسة. ولم أنكر في نفسي وشعور الحسد يكتمني أنه فتى جميل واضح القسامة يدل تركيبه على القوة والحزم وله عينان براقتان يقظتان ...

وقد رأيتُه مرة في البلدة فأقبل على في هدوء وسألني إن كنت أسمح له أن يوصل «ميرا» إلى البيت في سيارته فلم يسمني إلا أن أوافق على طلبه. وكانت الليلة مقمرة لطيفة، ولم تكن المسافة بين البلدة والبيت بعيدة، فراقبتهما وهما يستقلان سيارته القديمة المكسورة، وعلى حين فجأة لاحظت في عيني «ميرا» نظرة وقعت من نفسي موقع الوخز بالحديد الملتهب، نظرة امرأة يتجلى قلبها في عينيها بادية رفيقها فاستقللت سيارتي وتبعتهما عن قرب حتى لا يفينا عن عيني، كأنما كنت أخشى أن يهربا إلى مكان بعيد، ولكنهما قصدا إلى البيت مباشرة ودخلا إلى غرفة الجلوس يضحكان مبتهجين، وأدارا الفونو تراف يستمعان إلى نغمته بينما كنت أتمشى في الحديقة الخلفية أمام نوافذ الغرفة

ولم تلبث نانسي أن دعنتي للدخول إلى المطبخ حيث كانت جالسة وقالت لي في لهجة عنيفة:

«ميرا» وكانت ولادتها عشرة نالت منها «وني» أشد الألم، وحذرتني الدكتور جريفن من أن أرزق بأطفال جدد. ولكنني لم أتمود أن أعمل بما يقدم لي من نصيح. وكان من جراء ذلك أنه عند ما وضعت امرأتى بعد سنتين ولداً ثانياً ماتت هي والولد جميعاً

وأحضرت أختي «نانسي» لتسكن معي وتدير شؤون بيتي. وكانت عزباء رفيعة الوجه ذات كفاية ومقدرة. وكان لها مال تستثمره في العقار فكانت من الناحية المالية في حال مرضيه، ولكن كان يسرها أن يكون لها بيت، لذلك رغبت عن رضا في إدارة شؤون بيتي

ولم تحسن العلاقة قط بين أختي وبين «ميرا» فقد كانت «ميرا» مستقلة عنيدة، وكانت ظريفة إلى أقصى حدود الطرف، عيناها براقتان يضرب لونهما إلى الزرقة الداكنة، وكان شعرها مجموعة من التجاعيد الصقولة

ولقد قلت إنني لم أكده أحب أن «ميرا» تنظر إلى أي إنسان آخر حتى عند ما كانت طفلة، على أن الحق بدأ يقتل نفسي عند ما وصلت ابنتي إلى السن التي تجذب إليها أنظار الفتيان الذين أخذوا يلتفون حولها

وفي الحق كان الشبان يتقاطرون أسراباً ليدوروا حول ميرا كما يدور الفراش حول الضوء الساطع. فكنت إذا جئت البيت وجدتهم يفتنون في غرفة الجلوس أو جالسين في الحديقة أو مشغلين بصنع الحلويات في المطبخ

لم يكن في ذلك شيء أكثر من أنه تسلية بريئة سميدة، وكان من الواجب أن أشجعها وأرحب بها

— أرجو ألا تكون معتزماً أن تسمح بزواج
ميرا من هذا الفتى ابن المزارع ، لأنها إن فعلت ذلك
فلن أعطيها فلساً واحداً من ثروني
فأجبتها في شيء من الاعتراض وكأنها وجدت
في قولها ما ينمش آمال قلبي :

— إن مجرد زيارة فتاة زيارة عادية لا يعنى الرغبة
في الزواج
فقلت أختي :

— إنه يتروى على زيارتها منذ وقت طويل ،
وفي نظرات أحدهما إلى الآخر معان بعيدة ما في
ذلك من شك . وإني لأود أن أرسلها إلى السكينة
حيث تتوافر لها فرص التعرف بشبان أغنياء من أبناء
الأسر الكبيرة

ووافقت نانسي على ما قالته فيما يتصل بكريستوفر ،
ولكنني لم أكن راغباً حتى في أن تقابل « ميرا »
أحداً من أبناء الأسر الكبيرة ، بل لم أكن ، في
الواقع ، أحب أن ترى أى إنسان على الإطلاق
لم أندھش إذن عند ما جاءني « كريس » بعد
بضع ليال خياني بتحية لطيفة على الطراز القديم
وخطب إلي « ميرا » زوجها له

فما سمعت قوله حتى أحسست أن الألم يحز في
قلبي حز السكين ، وشمرت كأن الغضب يتحرك في
نفسي . ولكنني حتى في لحظة ألمي الجارح علمت
أن الغضب لن يؤدي إلى نتيجة ما . فقلت في هدوء :
— إنني لأحترمك يا بني لمحبيك إلى كما يفعل
الرجال تحط إلى ابنتي فهل لي أن أسألك إن كنت
تحبها ؟

فقال في صوت هادئ مضطرب تبدو فيه نشوة
الجد والشجاعة :

— من كل قلبي يا سيدي
فقلت :

— إذن إن كنت تحبها حقاً فيجب أن تفكر
في مصلحتها ورفائها ، وأظنك ترى أن حياة زوج
المزارع ليست بالحياة اللينة المريحة و ...

وقطع الفتى على الحديث في تحمس وقال :
— سأعد كل ما تتطلبه راحتها ورفاهتها فقد
أعطاني أبي حقلاً من الشمير ، ووفقاً لمن الشمير
الحالي سأحصل منه على مائة من الجنيهات صافية في
الحريف المقبل ، وقد وعدني أبي بأن يمطيني ثلاثين
قديناً من أرضه متى تزوجت . وإني لأستطيع بمائة
الجنيه أن أبني داراً صغيرة جميلة وإنك لتعلم أنني
نجار ماهر

واخفت غنة البهجة من صوت الفتى وفلاشت
نظرة السعادة من عينيه لما رأى من سكوت التحمهم
وقلت آخر الأمر في لهجة رقيقة :

— إن هناك فارقاً يا « كريس » بين الحب
وبين الحياة . فلقد كنت أنا نفسي أعيش في ضرة -
وكذلك كانت تعيش معي فيها أم « ميرا » ولكنني
أقول لك في سراحة إنني كنت أرجو لابنتي حياة
خيراً من هذه

فملا الاسفرار وجهه عند ذلك وصاح صبيحة
اليائس :

— أعدك بأنني سأحرص الحرص كله على
أن لا يكون هناك أى تقصير في إعداد ما تحتاج إليه
ميرا أو تطلبه

وكانت كلماتها كأنها القسم العظيم

ومضيت أقول في شيء من القسوة :

— تريد كلانا أن ننظر فيما يحقق سعادتها ، فإذا

حق أعارض إرادة الله أو كدت في لحظة أخرى أن
أسلم بالهزيمة . فوا أسفا ... لو أنني تملك نفسي
قبل أن أرتكب ذلك الخطأ القاسي الشنيع !!
فبدلاً من أن أسلك طريق الحكمة محترماً
إرادة الله قلت متحايلاً :

— إذا كان هذا هو شعورك يا عزيزتي «ميرا»
إذن يجب أن تزوجى منه
وكان السعادة كائن حي فاضت به عيناها عند ما
سمعت هذه الكلمات ... ثم مضيت أقول :

— ولكنك ترين أن عمك «نانسى» ممارسة
في هذا الأمر معارضة شديدة ، وهي تريد أن ترسلك
إلى الكلية ، وتقول إنها لن تترك لك فلساً واحداً
من ثروتها إذا أنت تزوجت من «كريس»
فضحكت «ميرا» ضحكة قصيرة وقالت :

— تستطيع أن تقول لعمتي «نانسى» أن
توصى بجميع ثروتها لأول خنزير صغير تصادفه
في الطريق فما كان أمر هذه الثروة ليهمني في شيء
على الإطلاق ... وما أظنك تحسبني أترك المال يحول
بينى وبين كريس ، ألسنت من رأيي في هذا ؟
وعندئذ لعبت بورقتي الراجعة فقلت :

— سأقول لك يا «ميرا» شيئاً أكره أن
أقوله ، فقد اقترضت خمسمائة جنيه من نانسى في
الخريف الماضى عندما أتممت بناء الجناح الجديد
في البيت وهي تهددني بأن تأخذها عن آخر بنس ،
وأنا الآن في أزمة مالية فإذا هي نفقت وعيدها
خربتنى ، وهي تقصد إلى التنفيذ وأنت تعرفين أنها
قصيرة التفكير غير حكيمة التصرف . فإذا أنت صبرت
سنتين فقط وذهبت إلى الكلية كما تريدك على أن
تفعل لدى العامين لا أكثر ، فإني أعدك بأنك

كانت سعادتها الحقيقية منطلوبة في زواجها منك
فلن أمانع في ذلك . وأود أن تكون على يقين من
ذلك . لهذا يحسن أن تنتظر عامين

وقلت في نفسي إن أمراً قد يحدث في أثناء
العامين . فقد تنسأ «ميرا» وقلت في نفسي أيضاً
إننى حقيقة لا أحب لها أن تكون زوج مزارع ،
ولكننى كنت أعلم من نفسي أنني لا أحب أن تصبح
زوج أى إنسان على الإطلاق

وتكلمت في اليوم التالى مع «ميرا» بمثل
الأسلوب الذى تكلمت به مع كريستوفر ، فقلت
لأنه ليس من مصلحة الفتى أن يشغل عاتقه وهو لا يزال
مبتدئاً بتبعات الزواج والبيت الجديد ... ودهشت
أن وجدت «ميرا» على غير عادتها هادئة مفكرة ،
وقالت لى آخر الأمر :

— إنك لتعلم يا أبى أنك كنت لى دائماً مدلاً
لا ترفض لى طلباً ، وإنى لأعلم أنك تفكر فى خيرى
عند ما ترى أن حياة المزارعين قاسية على
وهنا اهتز صوتها بغنة سعادة لم أسمعها منها
من قبل وقالت :

— ولكنك ترى أنني قد كبرت منذ أحببت
«كريس» فانا أود أن أعمل من أجله وأن أشاطره
حياته ومتاعبه . فانا أريد أن ألب بعد الآن ، ولكننى
أريد أن أعيش مع الرجل الذى أحب ، أقيم بيته
وأحيطه بمنائى وأرزق بأطفاله

فשמعت فجأة بأن جبهتى قد بردت وتصيبت
عرقاً ، وأدركت منزجماً أنني أواجه أمراً أكبر
مما قدرت بكثير ، فلم يكن هذا الحب حب تمجلى
وطيش ، ولكنه حب عميق صادق قوى . وبقيت
لحظة أسائل نفسي وعوامل الفيرة تتنازعنى : بأى

— أنخلصين لي دائماً ؟

فهزت رأسها إيجاباً ولم تنبس بكلمة واحدة ،
فأنحى عليها وقبل الشعر الجليل المرتجف ، وضجها إلى
إلى صدره في شدة كأنها يريد ألا تنفك من بين يديه
وابتمدت عن هذا المنظر ، وقد اهتزت يداي ،

لأهدى موجة الغضب التي طغى على نفسي ، فقد
خيل لي أن أقتل « كريس » بيدي المارتبتين

وكانت « ميرا » تكتب إلى كل أسبوع خطاباً
تصنع فيه الانشراح تصنعاً ، وكنت أدرك من
خلال سطورها أنها تشمر بالوحدة ومرض القلب .

وكنت أرى « كريس » من حين إلى حين ، وقد
رأيت أحد أيام الآحاد في الكنيسة تصحبه فتاة رائعة
الجمال ، فقالت لي « نانسي » :

— يظهر أن حالة « كريس » على ما يرام فهل
لا ترى ذلك ؟

ولقد علمت فيما بعد أن هذه الفتاة كانت ابنة عمه
وما أشك في أن « نانسي » قد كتبت إلى
ميرا تخبرها بأسر هذه الفتاة . فقد لاحظت على أثر
تلك المفاصلة أن نفمة جديدة قد تسربت إلى خطابات
ابنتي . فقد أصبحت كثيرة الكلام وأشد احتمالاً
للظروف المحيطة بها . وقالت إنها قابلت طبيباً شاباً ،
وذكرت في أحد خطاباتهما أنها ذهبت معه إلى أحد
المشارب المموية وشرباً معاً

ولقد فرغت لهذه الأخبار ، ولكنها لما استعمرت
تكتب عن ذلك الطبيب بالأسلوب العادي اعتقدت
أن ما أردته قد حدث . فالظاهر أنها قد نسيت
« كريس » .

ولم ألق بالآ إلى ما كان عليه « كريس » من
جد في العمل وإخلاص وصبر جميل ، ولقد بدأ الغنى

إذا كنت بعد هذه المدة لا تزالين تحبين « كريس »
فسيكون لك ما تريد . وإنه لي جرح قلبي أن أسألك
هذه التصحبة يا « ميرا » ولكن في ذلك خدمة كبيرة
لي ففي مقدوري أن أسدد دين نانسي في أثناء هذه
الفترة

فبقيت ميرا صامته لحظة طويلة ثم قالت آخر
الأمس :

— سأفعل ذلك من أجلك يا أبي
وجرت الدموع من عينيها ولم تستطع أن تمك
نفسها دون البكاء وتملقت بي وكأنما قلبها يكاد
ينفجر وقالت :

— إن سنتين تبدوان كأنهما الأبد
وشعرت مرة أخرى بوجوب التفرق مع ابنتي
فقد كان حقاً أنني مدين لنانسي ببعض المال ،
ولكن كان في مقدوري أن أحصل عليه من طريق
أخرى . ولكنني لم أكد أستطيع احتمال فكرة
هذا الزواج وكنت راغباً الرغبة كلها في أن أحول
دونه بأية وسيلة من الوسائل ، حتى ولو أدى ذلك
إلى أن أبعد عني ابنتي التي أعجبتها

وجاء « كريس » إلى بيتنا ليودع « ميرا »
في اليوم الذي حدد موعداً لسفرها ، فلما مررت
بغرفة الجلوس سمعته يقول :

— جئت لأودعك يا حبيبتي فهل تسمحين لي ؟
ووقفت أرقبهما في هدوء ، وكانت ميرا متملقة به ،
وقد أسند وجهه الأبيض ، وقد ارتسمت عليه
أمارات الألم ، إلى رأسها الجليل اللامع ، فلم يلبث
أن أدار وجهها في رفق ، وقد اضطربت شفاتها
حتى وهي تحاول أن تبسم له ... وسألها في صوت
أجش :

بالفعل بنشئ بيته الجديد على أجل وألف ذوق
لا يكون إلا للحب صادق الحب

وحوالى نهاية السنة تلقيت رسالة رقيقة من
الكلية تنبئني بأن «ميرا» مريضة ، أوهى على
الأصح نازلة الأعصاب وأنها أعطيت أجازة للمودة
إلى بيتها

وفي الوقت الذي تسلمنا فيه هذه الرسالة كانت
ميرا قد استقلت القطار بالفعل . ولما استقبلتها أنا
ونانسي على المحطة ، كادت ضربات قلبي تقف لما شهدت
من منظر ابنتي ، لقد كان لوجهها بياض الموت ،
وقد أحيطت عيناها بهالتين تنبئان عن الإعياء ،
وقد وقفت مترنحة نكاد نفقد إحساسها

إذن كان هذا الذي أرى هو نتيجة قسوة
الماضية ، لقد انتزعها من بين ساعدي الرجل الذي
أحبته ، فعادت إلينا صفراء مريضة . لقد أخذناها
إلى البيت مباشرة وأرقدناها في فراشها . وأردت
أن أرسل في طلب الدكتور جريفن ، ولكن ميرا
عارضت في ذلك والدموع منهمة من عينيها وكادت
تفترسها نوبة عصبية ، وقالت :

— لا أريده ... أنا . أنا لا أريد أن أراه ...
ليس بي من شيء غير تعب قليل في القلب ... وكل
ما أحتاج إليه هو أن أكون في بيتي وأن ألتجأ
إلى الراحة والهدوء ... وبعد ذلك أشقى تماماً ...
ورأيت آخر الأمر أن أهدئها فوافقت على عدم
استدعاء الطبيب ، وتحسنت حال ميرا بضعة أيام .
ثم حدث ذات مساء أن خرجنا بها في السيارة
للترويض فررنا بالبيت الصغير الذي يبنيه «كريس»
ولا أظن أن الفتى كان يعلم حتى بمودة ميرا ، أما هي
فلم تذكره مرة واحدة ... فلما رأت البيت سألت
عن غير قصد :

— بيت من هذا ؟

فسلكت حلقى وقلت :

— هذا ... هذا بيت كريس

ثم أنعمت الجملة متقطعة :

— وأظن أنه لا يزال يبنيه لك

فبدت في عيني ميرا نظرة يأس مفاجئة وقالت :

— لي أنا ؟

ثم قالت في صيحة كأنها خارجة من قلب مكسوم :

— ولكنني ظننت أن كريس قد تزوج

فسألتها في لهجة غير المصدق :

— ماذا ؟

فاختنق صوتها وارتجفت يداها وهي تخرج من

حافظة أوراقها قصاصة من إحدى الصحف وتقول :

— نعم ، نعم ، انظر ... انظر ... إن خبر

زواجه مكتوب هنا في الجريدة المحلية ، وقد أرسل

لي بمضمون هذه القصاصة

وبالفعل كان في نهر الأخبار من الصحيفة المحلية

قطعة جاء فيها أن كريس هاريسون قد تزوج من

الفتاة أميل ماسون في اليوم الثلاثين من شهر

أبريل في كنيسة سنت دافيد الخ ...

فضحكت ضحكة قصيرة وقلت :

— أوه ... إن الذي تزوج هو كريستوفر

هاريمان . فكل إنسان هنا يسميه كريس أيضاً ...

ولقد أخطأت الجريدة في ذكر اسمه الثاني

وبقيت ميرا لحظة تنظر أمامها وفي نظرتها أقصى

معاني الأسى التي رأيتها في حياتي . فلما نظرت إلى

كانت عيناها كأنها قد نظرنا إلى السماء نظرة أخيرة

ثم أحدثنا في الظلام ... وهممت باسم كريس

في صوت يَم عن اللغة الموحمة واليأس . ثم فقدت

وعينا ...

ولا بد أن يكون كريس قد سمع بمودة «ميرا» فإنه جاء إلى بيتنا في اليوم التالي لزيورها ... ولكنها لم ترد مقابلته ... وعلى الرغم من أنه كان يزورها في كل يوم فإنها بقيت مصرة على عدم مقابلته وما زالت مريضة صفراء اللون ضعيفة ... ولكنها لم تقبل أن يمودها الطبيب . وكلما أشرت إلى رغبتى فى استدعائه أصابها نوبة عصبية ... واضطرت أن أخضع لإرادتها وألا أهتم بأمريحتها . وكنت أشعر فى أعماق نفسى بالارتياح والسرور لما ظهر من نجاح خطتى فى التفريق بين ميرا وكريس وحاولت عبثاً أن أعرف شيئاً من أمر علاقتها بالطبيب الذى خرجت معه عند ما كانت فى الكلية ملاحظاً أنه لم يكتب لها فط

وأخيراً جاءها خطاب ، يحتوى على خبر زواج ذلك الطبيب بإحدى فتيات المجتمع فى اليوم الخامس من شهر يونية بعد ثلاثة أسابيع فقط من عودة ميرا إلينا فما قرأت هذا الخبر حتى استحالت لون وجهها إلى شحوب الموت وهمت جالمة فى سريرها وقالت لاهتة :

— لقد وعدنى ... لقد وعدنى

ثم جرت خارجة من الغرفة صارخة فلما أبدت رغبتى بمد ظهر ذلك اليوم فى دعوة الدكتور جريفن قالت فى صوت خافت مجمود :

— لا بأس ... غداً ! وإنى لأعدك بأن أراه

إذا وعدتني بشيء واحد ... هو أن تدعو كريس لمقابلتي على انفراد فى هذه الليلة ... وليس ما يدعو لأن تعلم عمى مانسى بشيء من أمر هذه المقابلة ولقد أردت أن أرفض ولكن اصفرار وجهها

أزعجنى إلى مدى أبعد مما حاولت التظاهر به ... وعلى كل حال لم يعد باديًا عليها أنها لا تزال تحب كريس ... ولم يكن لى بد من أن أخير بين صحتها وبين حبها ...

فقلت فى صوت مخشوش :

— فليكن ما تريدن

فأشرق وجهها الجليل بنور باطنى ، وهمت وهى تضمنى فى شدة إلى قلبها :

— آه ... يا أبى ... إذا حدث لى أى شيء فاذكر أننى أحبيتك دائماً أكثر من كل إنسان إلا كريس ... وإننى أفضل ألف مرة أن أموت على أن أدنس اسمك

لم أستطع أن أدرك ما كانت تمنيه بقولها ... ولكنى أظن أن ضميرى لا بد أن يكون قد تألم فى تلك اللحظة ... فقد شعرت بالجلجل من حبها الشديد لى وثقتها الكبيرة بى ... وكدت أفرح فعلاً فى تلك الليلة بدعوتى كريس لمقابلتها

ولما عرضت عليه رغبتى فى زيارته بدا كأنه قد تبدل شخصاً آخر ، فقد أضاعت عيناه الوقتان بنور المعظمة الراسخة ، وكأن تحول الضنى الذى كان ملاكاً قد زال عنه فى الحال . وكانت ميرا جالسة يحيط شعرها الذهبى الجميل رأسها بهالة تزد فى روعة جمالها ... فلما دخل كريس إلى الغرفة ... رأيت فيها برق وتضطرب شفتاها عند ما ضمها إليه وقبلها فى رقة بالغة

أقفلت الباب ورأى فى هدوء ... وقضيت بقية الليلة أسمع مهمة صوتيهما الخافتين وهما يتحدثان فى ثبات ... وفى الساعة الثانية عشرة فتح الباب على حين فجأة وانصرف «كريس»

ولقد قالت وصوتها يزداد ارتفاعاً كلمة بعد كلمة :
— أو بعد المتابعة التي أحطناها بها في نشأتها
يحدث هذا ؟ إذن كان خيراً لو تزوجت من ابن ذلك
المزارع الذي لا يصلح لشيء !

ثم قالت وكأن صوتها تكنتفه ألواح من الجليد :
— لم يبق هناك غير شيء واحد هو أن نجد
وسيلة للتخلص من أثر هذا المار
فقلت :

— ولكن فيما تريد يا نانسى خطر أعلى مىرا .
فإذا تكون الحال إذا أصابها شيء ؟ ...
فأجبت أختى عابسة فى لهجة حازمة :
— لن يحدث شيء ... فالشيطان يبنى دائماً
بأمر نفسه ...

ولكن كل حاسة كريمة فى نفسى — ولا بد
من أن يكون هناك أثر للشعور بالكرامة حتى فى
نفس أسوأ الناس — حارب الفكرة كلها حرب
يأس واستقتال ، وبدأت المعارضة بقوى :
— ولكن أين نذهب ... ومن أين آتى بالمال ؟
فقاطعتنى نانسى بقولها :

— خير لك أن تفكر فى الفضيحة ، إذ يرى
الناس « مىرا » وبين يديها طفل لا أب له ! ...
أذهب إلى « رولنجز » وقابل مسز كوك فعلى تعرف
هناك رجلاً اختصاصياً فى هذا الأمر ، وسنعطيك
عنوانه . وسأدفع أنا الأجر

وهكذا صحبت مىرا فى سيارتى إلى « رولنجز »
بعد ظهر ذلك اليوم . وفى الحق أننى لم أبتادل مع
ابنتى أية كلمة بعد أن دخلت إلى غرفتها وقلت
فى لهجة جافة :

— لقد جرى حديث بينى وبين الدكتور

وفى اليوم الثانى حضر الدكتور جريفن وكانت
مىرا كأنها شبح الموت نفسه ، وكأن عينيها حفرتان
تفيضان بماء الهول والجزع ، وقضى الطبيب فى
غرفتها وقتاً طويلاً

فلما خرج تبعته إلى سيارته ... وكان وجهه
متجهماً عند ما قال لى فى ثان :

— لم أكن أحب يا جون أن أقول لك ما سأقول
فتولانى الجزع وصحت :

— ماذا بها ... أهو قلبها المريض ؟

فقال الرجل وهو يحول نظره عن مواجهتى :
— نعم ليس من شك فى أن قلبها ليس سليماً
إلى الحد الكافى ... ولكن ... ولكن ... ليس
هذا هو ما تشكو منه ... فإن « مىرا » ستصبح
أماً بعد وقت ما

فوقفت مكاني وأنا قد شلت من هول الصدمة
التي أصابتني . ولما بدأت الدنيا التي كانت تدور بي
تستقر أمام عيني كان الدكتور جريفن قد ذهب ...
فالتفت وصمدت الطريق الموصل إلى باب البيت ...
وكنت أمشي كالشيخ المهمل المتعاص

وما أحب أن أتى مسؤولية ما حدث بعد ذلك
على عاتق أحد غير نفسى . وإني لأظن أنه لولا نانسى
لتبينت مبلغ البشاعة التي انطوى عليها خطاى الماضى
فلم أرد فى أعماق قلبى أن أعود لمخالفة مشيئة الله ...
فقد أردت أن أدافع عن ابنتى وأحميها وأعنى بأمرها
ولكن نانسى لم تكذب تسمع الخبر حتى أصبحت
كنى أصابه مس . لقد كانت نانسى شيخة لا تدرى
شيئاً من أمر الحب والضعف الجسدى . فلما أن أمر
الحكم على « مىرا » راجع كله إليها إذن لكان لها
فيه رأى أى رأى ...

آثار العار واليأس والفرح مجتمعة ... فأجفلت
مترجمة وصاحت في صوت موجه:

— لا ... لا ...

ولكن الطبيب أمسك بساعدها في قوة حتى
إذا وصلت إلى الباب تلفتت إلى ، ولن أنسى في
حياتي نظرة الفرع والتوسل التي ارتسمت على وجهها
الجميل الحزين عند ما سحبها الطبيب في لطف إلى
داخل الغرفة وأغلق الباب وراءها

وبعد بضع دقائق خرج الطبيب وحده . وقال :
إنه تحدث تليفونيا مع الممرضة التي تساعد في مثل
هذه الحالات ... وطلب مني أن أذهب لقضاء الليلة
في أحد الفنادق وأعود إليه في الصباح ، ثم أبدى
رغبته في أن أدفع له أجر العمل الذي هو مقدم عليه
وبعد أن تركت ابنتي العزيزة ، بين يدي ذلك
الرجل الفاسيتين ، لتواجه وحدها أكبر مأساة
تواجهها المرأة في حياتها ، لم أذهب إلى الفندق

وبدلاً من ذلك مضيت أتجول في الشوارع
مكسور القلب حزينا . وبدأت السماء تمطر ولكن
قطرات الماء كانت تتساقط على كتفي المنحنيتين
فلا أشربها ... لقد أرى نفسي في ذلك الوقت على
حقيقتي — رجلاً قاسى القلب ، متحكماً عنيداً ...
أنايماً شريراً الأنانية لأنه كان يخفيها وراء ستار من
الشفقة المصطنعة

ولو لم يكن الطبيب قد بدأ عمله الآثم لكنت
وقفته في الحال . وقلت في نفسي إن هذا الدرس
أقسى وفناً على منه على «ميرا» ... على أنني
سأحوله إلى صالحها على كل حال ، وسأمكنها من
التمتع بحبها وبالحياة التي تريدها مهما كلفني هذا
الأمر من ثمن

جريقن ، فأعدى حقيبتك يا ميرا لأننا ذاهبان
من هنا .

فقلت ميرا في لهجة يمازجها الألم الصارخ :

— ولكن لم نذهب يا أبي ؟

فقلت :

— أظنك تعرفين السبب

ثم تركتها وانصرفت ...

ولما مررنا في طريقنا بالبيت الذي كان كريس
مشتغلاً بيناته شعرت بأنها قد تقلصت إلى جانبي على
حين فجأة ، كأنما قد أصابها ألم أعظم من أن تقوى
على احتماله . وأحدثت في البيت وقد تبدى قلبها
في عينيها كمن ينظر إلى حبيب ميت

وإنه لما يغربني الآن بعض الشيء أن أذكر
ما كان من ترددي وتفكيري في إلغاء رحلتنا
إلى رولنجز لما شهدت من كآبة اليأس التي بدت
على وجه ميرا . وخطر لي لحظة أن أقف إلى جانبها
في عنيتها ... كما أنا واثق أن أمها كانت تفعل
لو كانت على قيد الحياة ...

ولكن الكبرياء تسربت إلى نفسي فسرت
قلبي ، وحال بيني وبين تنفيذ ما فكرت فيه
ما ذكرت من غضب نانسي وآرائها الفاسية . ولم
أفكر فيما يكون من حياة حفيدي الذي لم يولد بعد
وقصدنا إلى بيت مسز كوك ... ثم قصدنا بعده
ونحن ساكتان إلى الطبيب الذي أخذنا عنوانه منها .
فقابلنا الطبيب غير مبتسم ولو أنني لحظت أثر الإعجاب
المفاجئ الذي بدا على وجهه عند ما رأى جمال «ميرا»
الباهت الضميف

ولما فتح الرجل باب الغرفة الداخلية تنبعت جميع
حواس ميرا على حين فجأة ... وبدت على وجهها

يواسيني بما في وسعه من لطف ، وأفرغت له كل ما في نفسي وأطلعته على قصتي كلها . فوقف السيارة ناحية في الطريق الخلوي ومضى في مواساتي وملاطفتي بروح الأخوة الصادقة ، وكان داخل السيارة المقفلة دافئاً ، فسألني أن أسند رأسي إلى صدره ، وأحاول النوم تهدأ أعصابي . ونمت فعلاً لحظة قصيرة ، وعلى حين فجأة استيقظت ... و... و... » واضطربت « ميرا » متشنجة وأمسكت يدي بشدة وقالت :

« آه ، يا أبي ... لقد جاهدت في دفعه عني ، ولكنه كان مجنوناً في شهوته ، وكنت في ضعف حياله كالغفارة حيال القط . فبكيت وتوسلت إليه ... ولكن على غير طائل ... وبعد برهة أوصلتني إلى السكينة ... وبدأ عليه عندئذ أنه قد ندم على ما فعل وقال : إنه إذا حدث أي شيء فسيترجمني . ولكنني لما عدت إلى البيت وكتبت له ... كان ... ما عرفته أنت ... لقد تزوج من الفتاة الأخرى »

وتقطع صوتها ... وبدأ في عينيها الوديعتين وميض غير دنيوى ... ومدت يدها آخر الأمر لتسحب رأسي فتقبلي قبلة الوداع الأخيرة ، وكانت قبلة المأساة الهائلة ... وكانت تلبس في أصبعها خاتماً بفص ميلادها ، فلما مدت يدها صدم تنوء الخاتم جبهتي فجرحها ، ولكنني لم أشعر بشيء وهمست لي في رقة : « قل لكريست إن أحببته حتى اللحظة الأخيرة »

وزفرت زفرة خفيفة رقيقة كانت هي نفسها الأخير ...

وبعد لحظة أبعدونني عن فراشها . وبدأ على الطبيب والمرضة أنهما أصيبا بضربة مفزعة ، ولكنني

ولسا انتهي بي اللطف إلى الفندق كان أول ما عملته ، ولو أن الليل كان قد انصف ، أن اتصل بالطبيب تليفونيا

وكانت الممرضة هي التي ردت علي ، وكان صوتها مضطرباً لاهتاكاً وهي تقول :

— يا لله لقد كنا نحاول البحث عنك أو يحسن أن تحضر في الحال ... لماذا لم تقل لنا إن قلبها ضعيف ؟

لم أنتظر لأسمع أكثر من ذلك ، فقد استولى على خبل الخوف فخرت إلى الشارع عارى الرأس لا أرتدى معطفاً ، وكان الطبيب والمرضة يمالجان ابنتي المتجمدة في عنف . والله وحده هو الذي يعلم مبلغ ما استولى على قلبي من الفزع عند ما رأيت ذلك الوجه الساكن الجميل وتحرك جفناها على حين فجأة وانفتحا ، فابتسمت لي ابتسامة حلوة وقالت :

« مرحى يا أبي إنني لسعيدة بحضورك ... لقد أردت أن أقول لك كل شيء ... لقد خبرت كريست في تلك الليلة بكل ما حدث ، وقد فهم ... وأريد منك أن تساعني أيضاً ... »

أهي التي تسألني المغفوا بيننا أنا الذي يجب أن أركع أمامها خجولاً ذليلاً ! أتسألني المغفوا أنا الذي حطمت حياتها بل وقتلتها ؟

ومضت تقول في صوتها المذبذبات :

« لقد حدث هذا بعد أن قرأت خبر زواج كريست فقد بدا لي أن لم يمد في الوجود ما يهمني ، وصحبنى الطبيب الذي كتبت لك عنه ، عدة مرات في سيارته . وفي إحدى الليالي ... وكنت شبه المجنونة من أثر التماسه وانكسار القلب ... خرجنا في جولة ، وكان

التي أحبها . ولم يتم قط بناء البيت الذي كان يمهدها . فأتى منه يقوم هناك مذكراً بالأحلام السعيدة التي لم تتحقق ، وبالأمل والإخلاص والحب وتلك العواطف التي وطئت تحت الأقدام لإرضاء للغيرة الوخيمة التي تملكك نفس أب أناني متمجرف .

وإني لأحمل في جيبتي آثار جرح أنفسي من حين إلى حين ... فيذكرني بحنان تلك الطفلة التي مدت يدها لتمامتي في لحظتها الأخيرة وهي لا تدري بأنني المسؤول الأول عما أصابها !

على أن في قلبي جرحاً أكبر من جرح جيبتي خالفته السمادة الضائعة إلى الأبد ، والثقة التي قوبلت بالخيانة ، وما استولى على نفسي من يأس لا أمل وراءه ...

وقد يلتئم جرح جيبتي على مر السنين ... ولكن الموت وحده هو الذي يشفي جرح قلبي !
عبد الحميد محمدى

لم أشعر نحوها بشيء عن الشفقة ، لأننى أدركت أنه لو لم يكن هناك أناس من أمثالهم يملكون مثل عملهم للحصول على المال ، لبقيت ابنتى المحبوبة على قيد الحياة ... ولا يحسن أحد أننى لم أدرك أننى كنت المولود قبل أى إنسان آخر ... ولكن كان فى القدر أنى أنفذ فكرتى الجنونية ... وعرفت على حين فجأة ما يجب على أن أفعل لأنفذ على الأقل حياة طائفة من الفتيات الأخريات من أن يصيبهن مثل ما أصاب ميرا ...

لقد أسرع فى طريقى إلى مركز البوليس ، وهناك اعترفت بكل ما حدث .

وما أحب أن أصف ما بدا فى المحاكمة من فزع ومن حزن . ولقد حكم على الطبيب بالسجن خمس سنوات ، وكذلك سجنتم الممرضة ، ولم أبال بما حدث لى ، فلقد كنت أعلم أن السجن خير جداً مما أستحق .

والآن أتمنى الموت ... ومع ذلك أخشاه ... لأننى لا أدري بماذا أجيب خالتي إذا سألتني عن جريمة القتل التي اقترفتها ، نعم ، إن بدى ملطختان بدم ابنتى ، كما لو كنت أنا الذي قتلها بنفسى .

لقد قتلها بكبريائى وغيرتى وتحكمى ... وأنا الآن شيخ منهزم ... أعيش أنا ونانسى فى وحشة كثيفة تعيسة . وحاولت ننسى مرة أن تتكلم عن « الجراء المدل » ، ولكننى وقفها بنظرة جمعت كل معانى الغضب والحقد ، فعقد لسانها فى الحال ولم تنبس ... وإننا لنعيش صامتين لا نتحدث بشيء من ذلك الذى يفيض به قلوبنا ...

وكريس ؟ إنه لا يخرج أبداً مع أية فتاة ... فقد مات قلبه هو أيضاً مع آخر نفس لفظته الفتاة

آلام فرتر

للساعر الفيلسوف مورتو الرومانى

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

وهى قصة عالمية تمتد بحق من آثار الفن الخالد

تطلب من إدارة مجلة الرسالة

ومنها ١٥ قرشاً